طبيعة اعتداءات زعماء المشركين على الرسول ﷺ والمسلمين في العهد المكي

م.د. خطاب إسماعيل أحمد
قسم التاريخ
كلية العلوم الإنسانية / جامعة زاخو

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/١٠/١٢ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١١/١٢/٢٩

ملخص البحث:

الهدف من هذه الدراسة هو بيان طبيعة الاعتداءات التي تعرض لها الرسول ﷺ والمسلمون، في نشر دعوة الإسلام بين الناس في مكة وخارجها، وذلك منذ البعثة الشريفة إذ كانوا يضايقون على الرسول ﷺ خاصة، وبعد أن اصبحت الدعوة علنية في السنة الرابعة من البعثة، وإلى نهاية العهد المكي في السنة الثالثة عشر من البعثة، زاد أولئك الزعماء اعتداءاتهم على الرسول ﷺ، وأصبح المسلمون كذلك عُرضةً لذلك الأذى بعد أن انكشف أمر إسلامهم للمشركين، وكذلك إظهار تناقض مواقف زعماء المشركين تجاه الحُرمة المكية، المتمثلة بالحرم المكي والأشهر الحُرم. ذلك الموقف الذي تميز بإزدواجية المعايير، في الوقت الذي كان زعماء مكة المشركون، يسعون لحَمل القبائل العربية، التي كانت تحت سيطرتهم، على ضرورة احترام ما تتمتع به مكة من حُرمة وقُدسية، وعدم جواز الاعتداء على الآخرين تحت أي ظرف كان، بل وقد توفرت هذه الحماية حتى للحيوان، إذ حُرم على الناس صيد الحيوانات داخل الحرم المكي، أو خلال الأشهر الحُرم الأربعة.

كان زعماء المشركين ملتزمين بهذه السياسة بشدة، لما في ذلك من خدمة كبيرة لمصالحهم، ولكنهم سرعان ماتناسوا ما كانوا ينادون به، من ضرورة احترام حُرمة مكة، وأخذوا يكيلون للمسلمين أنواع العذاب والإضطهاد، وذلك عندما شعروا بأن مصالحهم تتعرض للخطر، لذا فقد تعرض شخص الرسول الكريم ﷺ إلى أنواع مختلفة من الإعتداء، التي تراوحت بين عدم المبالاة والسخرية من رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، إلى محاولات لتشويه سمعة الرسول ﷺ، فضلاً عن أساليب الترهيب والترغيب، التي مارسها زعماء المشركين بحق الرسول ﷺ على وجه الخصوص، والمسلمين عموماً، وكذلك محاولات التفاوض مع أبي طالب عم الرسول ﷺ، ومع الرسول ﷺ من أجل حمله على التنازل عن نشر الدعوة الإسلامية بين الناس، وكذلك الطلب من الرسول ﷺ الإتيان بالمعجزات كشرط للإيمان به، وأخيراً اللجوء إلى التعذيب والتهديد والتخطيط لإغتيال الرسول ﷺ، وكان زعماء

المشركين كلما فشلوا في أسلوب من أساليبهم، في صراعهم لمواجهة الإسلام فإنهم يغيــرون أسلوبهم، وذلك تبعاً لتطور ظروف المواجهة بين الطرفين.

The Nature of Aggressions by Polytheist Leaders on the Prophet and Muslims in the Meccan Era

Lect. Dr. Kataab Ismail Ahmead
Department of History
College of Humanity Science / Zaku University

Abstract:

The aim of the present study is to clarify the nature of aggressions that the Prophet (G.B.P.B.U.H.) and the Moslems faced in diffusing the Islamic Call among people in Mecca and outside it since the Glorious Expedition. After the Call became overt in the fourth year of the Expedition, the Prophet (G.B.P.B.U.H.) was bothered severely by the non-Moslems till the end of the Meccan era in the 13^{th} year of the Expedition. The non-Moslem leaders increased their aggression towards the Prophet (G.B.P.B.U.H.). They also harmed the Moslems after they realized that they embraced Islam. The non-Moslems revealed their contradicting attitudes towards Meccan sanctity represented by Meccan Haram and Al-Hurum Months. These attitudes were characterized by duality in standards. In the mean time, the non-Moslem leaders were urging the Arabic tribes under their control to the necessity of respecting the Meccan sanctity and holiness, and to the necessity of not trespassing to others under any condition. Even the animals were not to be trespassed that people were forbidden from hunting them in the Meccan Haram or during the four Hurum Months.

The non-Moslems were strongly committed to their policy, for it had many interests to them. But they soon forgot what they were urging people to do, i.e. the necessity of respecting the Meccan Haram. So, they tortured and oppressed the Moslems in many was especially when they felt that their interests were jeopardized. Thus, the Prophet (G.B.P.B.U.H.) was impinged in different ways. For example, He as well as His followers were neglected and mocked. He suffered from attempts of being defiled of His reputation. In addition, the non-Moslem leaders of Mecca imposed the methods of intimidation and desiring on the Prophet specifically and on Moslems generally. The leaders negotiated with the Prophet (G.B.P.B.U.H.) and then with His uncle (Abu-Talib) to force Him to quit diffusing Islam among people. They also asked Him to bring miracles as a condition to believe in Him. Eventually, they planned to torture, threaten, and assassinate the Prophet (G.B.P.B.U.H.). Every time

the plans of their leaders failed in fighting Islam, they changed them according to the nature of the conflict between the two parties.

المقدمة:

لقد بقي النبي ﷺ يدعو الناس مستخفياً مدة ثلاث سنوات، إذ قال ابن اسحاق: "فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه –فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته"[(١)]؛ ثم أمره الله تعالى بإظهار دعوته، وهذا ما أكده ابن سعد إذ روى عن الزهري قوله: "فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به، وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أن غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر فشنقوا لرسول الله عند ذلك وعادوه"[(٢)].

إن ما ذكره ابن اسحاق وابن سعد عن مواقف المشركين غير المعادي للنبي ﷺ خلال السنوات الثلاث الأولى من البعثة، لا يعني أنه كان على اتفاق معهم، وأن المشركين اقتصروا على الاستهزاء فحسب، ولم يضايقوا النبي ﷺ والمسلمين.

حيث يظهر من آيات السور الأولى في النزول[(٣)]، أن بعض زعماء المشركين كانوا يضايقون النبي ﷺ في دعوته، وينهونه عنها، مثلاً:

أ. **آيات سورة العلق التي هي أول سورة نزلت من القرآن الكريم ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾[(٤)]. أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي جهل عندما توعد النبي ﷺ بالصلاة[(٥)]، فقد ذكر بعض المفسرين أن أبا**

(١) ابن هشام، ابو محمد عبد الله بن عبد الملك المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وزميلاه (مكتبة التبرية، بغداد: د/ت)، ق١، ص٢٦٤.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله، الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت: د/ت)، ، ج١، ص١٩٩؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ابن محمد أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ)، ج٢، ص٣٦٤؛ السخاوي، شمس الدين، التحفة اللطيفة في تأريخ المدينة الشريفة (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣)،ج١، ص١٠.

(٣) ذكر الطبري عن مجاهد قوله: أن أول سورة أنزلت العلق؛ ثم نون؛ ثم القلم. (الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن (دار الفكر، بيروت: ١٤٠٥هـ)، ج٣٠، ص٢٥٣).

(٤) العلق، ٩ -١٢.

(٥) الطبري، جامع البيان، ج٣٠، ص٢٥٣؛ مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المخزومي، التفسير، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي (المنشورات العلمية، بيروت، د/ت)، ج٢، ص٧٧٢؛ الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، التفسير، تحقيق: مصطفى مسلم محمد (ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ)، ج٣، ص٣٨٤؛ السيوطي، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن، لباب النقول في أسباب النزول (مطبعة دار

جهل عندما رأى النبي ﷺ ساجداً جاءه؛ ثم نكص على عقبيه[1]. وفي تفاسير أخرى أن أبا جهل توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت[2]. وهذا يعني أن صلاته ﷺ كانت علنية، وفي الكعبة، وأمام ملأ من قريش.

ب. آيات سورة المدثر، وهي من أوائل السور المكية في النزول، إذ يرجح أنها من حيث ترتيب النزول، تأتي بعد أربع سور وهي (العلق والقلم والضحى والمزمل). (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا.. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ)[3]. إن في هذه الآيات حكاية لمواقف المشركين، وجدلهم وتكذيبهم. وعلى ضوء هذا لا نسلم بما ذكرته بعض المصادر من أن الدعوة الإسلامية بدأت سرية إلى أن قويَ الإسلام، ونزلت آيتا الحجر (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)[4]. لذا نرجح أن الدعوة الإسلامية منذ البداية بدأت علنية وجهاراً، ولكن النبي ﷺ كان يتجنب دعوة المعاندين والطغاة مؤقتاً مع عدم قطع الحبل، ومجانبة الشدة في خطابهم، وأنه قصر دعوته في البداية على من كان يتوسم فيهم الخير والاستجابة، ولا يرى فيهم الغلظة والقسوة والعنف في الصد والتكذيب[5].

إن تتبع سياق الآيات الأولى في النزول تظهر أن زعماء المشركين لم يكتفوا بالاستهزاء، بل ومنذ الوهلة الأولى لسماعهم بنزول الوحي على النبي ﷺ بادروا إلى اتهامه ﷺ بالجنون، ودليل ذلك ما ورد في القرآن من سورة القلم الثانية في ترتيب النزول (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)[6]. ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت للرد على اتهامات

التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٢هـ)، ص٢٣٢؛ الواحدي، علي ابن أحمد أبو الحسن، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ)، ج٢، ص١٢١٧؛ البغوي، الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك (ط٢، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٧)، ج٤، ص١٢٤.

(١) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني (ط٢، دار الشعب، القاهرة: ١٣٧٢هـ)، ج٢٠، ص١٢٤؛ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦)، ج٥، ص٥١٠.

(٢) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القريشي، التفسير (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ)، ج٤، ص٥٢٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة المدثر، الآية: ١١ -٢٥. أجمعت الروايات أن هذه الآيات نزلت بحق الوليد بن المغيرة المخزومي.

(٤) الحجر، ٩٤ -٩٥.

(٥) ينظر: دروزة، محمد عزة، سيرة الرسول ﷺ صورة مقتبسة من القرآن الكريم، وتحليلات قرآنية (ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١١٩٤٨)، ج١، ص١٤٩.

(٦) القلم، ٢.

المشركين للنبي ﷺ بالجنون[1]، كما أن النبي ﷺ نفسه تحير في الذي أنزل عليه بغار حراء، والقصة مشهورة في كتب السيرة.

لم تكن فكرة المشركين في نسبة الجنون إلى النبي ﷺ أنهم كانوا يقصدون به أنه ﷺ كان مريضاً، وإنما كان هذا من قبيل ما جرت به العادة، في إطلاق كلمة المجنون على من يقدم على دعوة حديثة، لا عهد للناس بها. ومن الممكن أن يكونوا قصدوا أن يقولوا: أن الجن هم المتصلون بالنبي ﷺ لا الملائكة، وأنهم هم الذين يلقنونه ما يقول، وأن ما يبدو منه هو أثر من تخليط الجن ومخالطتهم له، وسياق آيات الشعراء (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[2]. تظهر أن عقيدة العرب باتصال شياطين الجن بالشعراء والكهان وتلقينهم لهم[3]. ومن هذا الباب كان اتهامهم للنبي ﷺ بالجنون.

وقد رد القرآن على هذه الاتهامات بنفي تنزل الشياطين بالقرآن وتلقينهم إياه للنبي ﷺ في قوله عز وجل: (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۞ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ)[4]. وقرر القرآن في آيات أخرى[5] أن الشياطين إنما يتنزلون على الكاذبين المفترين والشعراء الذين هم في كل وادٍ يهيمون، ويقولون ما لا يفعلون، ويتبعهم الغاوون.

وفي هذا توكيد لما كان يذهب إليه العرب، من اتصال الشياطين بالنابغين من الشعراء والكهان والسحرة، اتصال تعليم وتلقين، ومن تفسير أمر نبوة النبي ﷺ حسب فكرهم هذا كما هو المتبادر[6].

لذا فإن المشركين لو آمنوا بحقيقة نزول الوحي على رسول الله ﷺ، فإن ذلك كان يعني دخولهم في الإسلام، وانتهاء كل أسباب الخلاف بينه وبينهم، وقد قدم لنا القرآن الكريم، وكتب السيرة النبوية صوراً ومشاهد كثيرة عن طبيعة الصراع وأبعاده الذي دار بين زعماء المشركين والرسول ﷺ حول مسألة الوحي[7].

---

(١) الطبري، جامع البيان، ج٩، ص١٨؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص٢٢٥، تفسير ابن كثير، ج٤، ص٤٠٣؛ السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدر المنثور (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣)، ج٨، ص٢٤٢؛ الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د/ت)، ج٤، ٣٢٥؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير (دار الفكر، بيروت، د/ت)، ج٥، ص٢٦٧؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ابن محمد، زاد المسير في علم التفسير (ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ)، ج٨، ص٣٢٨.

(٢) الشعراء، ١٩٢ -١٩٥.

(٣) دروزة، عصر قبل البعثة، ص٦٣١.

(٤) الشعراء، ٢١٠ -٢١٢.

(٥) الشعراء، ٢٢١ -٢٢٧.

(٦) دروزة، عصر قبل البعثة، ص٦٣٢.

(٧) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة (مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٩١)، ص٣٧.

ومما يدل على مبالغة زعماء المشركين في أذاهم للرسول ﷺ والمسلمين، كثرة عدد الآيات التي نزلت في هذا العهد، والتي كانت تحث الرسول ﷺ وأصحابه على الصبر، وتنهاهم عن الحزن، وتضرب لهم الأمثلة، من واقع الأنبياء والرسل السابقين، للأستئناس بها: مثل قوله تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا)[1] ، وقوله تعالى: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)، وقوله: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)[2] ،إذ نزل نحو (٧٠) آية، في العهد المكي، توصي الرسول ﷺ والمسلمين بالصبر على اعتداءات زعماء المشركين.

ربما كان سبب هذه التوصية بالصبر، هو لمراعاة الظروف العملية، التي كانت تعيش في إطارها الجماعة الإسلامية الناشئة، حيث لم تكن تملك من وسائل القوة، ما يمكنها من مجابهة عدوان زعماء المشركين.

- **زعماء المشركين:**

كان الزعماء والأغنياء ممن اصطلح على تسميتهم بـ (الملأ) هم من تولى الصراع بالنيابة عن المشركين، إذ لم نعثر على أدلة عن قيام رجال دين مكيين، في مجادلة النبي ﷺ حول الأفكار التي جاء بها، أو الدخول في صراع معه على أي مستوى، مع العلم أنه كانت في مكة عدة وظائف دينية، منها خاصة المتعلقة بالحج (السقاية والرفادة والحجابة) والتي يبدو أنها كانت وظائف إدارية أكثر من كونها دينية، مما يدل على عدم وجود مثل هذه الفئة في مكة.

وردت الإشارة إلى زعماء المشركين في القرآن الكريم، بصيغة (الملأ) في (٣٠) آية، (٢٩) منها مكية، وواحدة فقط مدنية[3]، وفي هذا دلالة واضحة على تأثيرهم الواسع والعميق في حياة أهل مكة، والدعوة الإسلامية، لذا فقد أولى القرآن الكريم لـ (الملأ) هذا الاهتمام الكبير في الذِكر في العهد المكي.

إن ورود هذا العدد من كلمة (الملأ) في الآيات القرآنية يظهر أن مفهوم (الملأ) كان واضحاً ومعروفاً عند العرب، إذ أنه يعبر عن نظام سياسي واجتماعي كان قائماً في مكة

---

(١) المزمل، ١٠.

(٢) النحل:١٢٧.

(٣) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (الملأ).

خاصة، وغيرها من الأماكن في شبه الجزيرة العربية منذ زمن طويل[١]، لذا تحدث القرآن الكريم عن الملأ من دون تعريف أو توضيح[٢].

كان هؤلاء الملأ يتولون شؤون مكة العامة على اختلافها، في نطاق ما يسمى (بدار الندوة)، التي سماها القرآن الكريم (النادي) في آية سورة العلق، في سياق ما كان من تصدي أحد هؤلاء الملأ للنبي ﷺ حينما باشر دعوته وأخذ يصلي بالكعبة **(فَلْيَدْعُ نَادِيَه ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۞ كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)**[٣]. ولضمان هذه الزعامة الجماعية لمكة، فقد كان زعيم كل أسرة يتولى وظيفة من الوظائف، فكان لزعيم أسرة سقاية الحج، ولآخر الرفادة، ولآخر سدانة الكعبة، وكذلك اللواء والقيادة، ولما كانت تلك الوظائف قليلة بالمقارنة مع عدد بطون قريش، فقد تم استحداث وظائف أخرى لا تتعدى أهمية بعضها الجانب المظهري، أو الشرفي لتحقيق التوازن بين تلك البطون، وتجنب الصراعات بين أفراد القبيلة الواحدة التي قد تؤدي إلى سقوط هيبتهم بين القبائل الأخرى[٤]. وحين ظهر الإسلام كانت في مكة (١٦) وظيفة يتولاها عشرة أرهاط من عشرة أبطن قريشية[٥].

وقد بدأ ملأ مكة هذا الصراع مع النبي ﷺ منذ أخذ الرسول ﷺ يوجه النقد إلى عبادة الأصنام، واستمر حامياً طوال العهد المكي، ولم ينتهِ ذلك الصراع الذي اتخذ طابعاً جديداً بعد الهجرة إلى المدينة، إلا بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة[٦].

أما أهل مكة عامة فكانوا متأثرين بـ (الملأ) في كل أمرٍ وشأن، لأنهم أصحاب المال والقوة واليد والنفوذ، فتتبعوهم في الامتناع عن الاستجابة والاستماع للدعوة الإسلامية. وهذا ما عبرت عنه آيات القرآن الكريم[٧].

---

(١) ظهرت حكومة الملأ إلى الوجود في مكة بعد موت قصي بن كلاب، زعيم قريش العام، حيث لم يظهر بعد موت قصي زعيم عام ترجع إليه القبيلة، وإنما أصبح يحكم مكة (الملأ) وهم رؤساء البطون، الذين عدوا أنفسهم متساوين من حيث المبدأ، واقتسموا المناصب فيما بينهم. (أحمد الشريف، مكة والمدينة، ص١٢١).

(٢) الملاح، هاشم يحيى، حكومة الملأ في مكة منذ ظهور الإسلام وحتى الفتح (مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٥١)، بغداد، ٢٠٠٤)، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) العلق، ١٧-١٩.

(٤) حسين، خطاب إسماعيل أحمد، الحج عند عرب ما قبل الإسلام وفي عصر الرسالة (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٢)، ص٩٧.

(٥) ينظر: الشريف، مكة والمدينة، ص١٢٠-١٢١؛ الملاح، الوسيط في السيرة، ص٤٤-٤٩.

(٦) دروزة، محمد عزة، معركة النبوة مع الزعامة (مجلة هدي الإسلام، المجلد (٣٤)، العددان (٧، ٨)، ١٩٨٠)، ص١١.

(٧) ينظر الآيات: ٣١، ٣٢، ٣٣ من سورة سبأ؛ والأحزاب، ٦٧-٦٨.

لذا يمكن القول : إن الناس كافة من أهل مكة، أو اغلبهم كانوا تابعين لأسيادهم من الملأ، وكان الصراع قائماً بين الطبقة المستكبرة التي أشارت إليها آيات القرآن الكريم، المتزعمة الغنية (الملأ) وبين النبي ﷺ وأصحابه، وحينما غلبت على أمرها وسقطت في الواقع، اندفع الناس كافة للاستجابة والدخول في دين الله أفواجاً بعد فتح مكة: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾[1].

وقد خلص الأستاذ الملاح[2] من دراسة الآيات التي تحدثت عن الملأ الذين أرسل إليهم الأنبياء السابقون، أنها تظهر مدى التشابه بينهم وبين ملأ مكة، مما يدل على أن الخطاب القرآني كان يسعى من وراء إيراد قصص الأنبياء السابقين، ومواقف الملأ منهم إلى التأثير في موقف الملأ المكي، من النبي ﷺ ودعوته، وخدمة القضية التي كان الرسول ﷺ يعمل من أجلها طوال الحقبة المكية، لذا ما كاد الرسول ﷺ يهاجر من مكة إلى المدينة حتى اختفت الإشارة إلى الملأ من القرآن الكريم، ولم ترد ضمن السور المدنية سوى إشارة واحدة ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى**﴾[3].

إن زعماء المشركين في مكة هم الذين كانوا يدعون الناس كافة، وخاصة القبائل العربية التي تحت سيطرتهم إلى احترام الحرم المكي والأشهر الحرم، وبالغوا كثيراً في توفير الأمان للناس، حيث كان الخائف يأمن فيه، فيرى الرجل قاتل أبيه وأخيه؛ فلا يتعرض له لكونه في حرمة الحرم المكي، أو في ظل الأشهر الحرم الأربعة (رجب، ذي القعدة، ذي الحجة، محرم) أحدها مفرد وهو شهر رجب، الشهر السابع من أشهر السنة الهجرية، والثلاث الأخرى متتالية وهي ذي القعدة الشهر الحادي عشر، وذي الحجة الشهر الثاني عشر، ومحرم الشهر الأول من أشهر السنة الهجرية.

بل حتى توفر هذا الأمان للحيوان والنبات، وذلك لأن مصلحة هؤلاء الزعماء المكيين كانت تقتضي ذلك، ولكن في حال تعرُض هذه المصالح للخطر؛ فسرعان ما يتناسون المبادئ التي كانوا ينادون بها.

لذا فعندما رأى زعماء مكة، أن دعوة الإسلام تشكل خطراً، على مصالحهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإنهم تآمروا على هذه الدعوة، حتى وصل بهم الأمر إلى اضطهاد المسلمين، وتعذيبهم في ظل الحرم المكي، الذي هم كانوا يدعون إلى حرية الرأي فيه.

---

(١) سورة النصر.

(٢) حكومة الملأ في مكة، ق٢، ص١٥٢ -١٥٣.

(٣) البقرة، ٢٤٦.

في بداية الدعوة اقتصر رد قريش على الدعوة بالاستهزاء بالرسولﷺ والسخرية منه، فكان إذا مر بهم أشاروا إليه بقولهم: إن غلام عبد المطلب ليكلم من السماء. وبقي الأمر كذلك بين الرسول ﷺ وقريش، لا يعبئون به وبدعوته، إلى أن سفه أحلامهم وعاب آلهتهم وضلل آبائهم حسب زعمهم[١].

ولما رأى زعماء المشركين أن رسول الله ﷺ، لا يصرفه عن دعوته كل ما قاموا به، فانهم اتبعوا أساليب الاستهزاء والتكذيب والتضحيك، بقصد تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة فكانوا ينادونه بالمجنون[٢]، كما قال تعالى (وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)[٣] ، ووصموه بالسحر والكذب (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)[٤] ، وكانوا يستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة، وعواطف منفعلة هائجة (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)[٥] ، وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه استهزأوا بهم وقالوا: (..أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا..)[٦] .

وهكذا فقد تدرج المشركون بعداوتهم للرسول ﷺ والمسلمين، من السخرية والاستهزاء والتشويه والتكذيب إلى المساومة، والمطالب التعجيزية، إلى التهديد بالقتل والتعذيب والاضطهاد، والمقاطعة وفرض الحصار على المسلمين، ومن حماهم من بني هاشم حمية، إلى محاولات لاغتيال الرسول ﷺ.

لقد ذكرت المصادر الإسلامية الأصيلة، الكثير من النصوص بهذا الصدد، التي يتضح من خلالها، مدى ما تعرض له الرسول ﷺ والمسلمون جميعاً، من الاعتداء في الحرم المكي، وفي ظل السلام المكي، الذي كانت قريش تدعو الناس إلى احترامه بشدة، فمن أبرز أساليب المشركين في معاداة الإسلام وأهله هي:

أولاً- التشويه:

بعد إعلان الدعوة الإسلامية في مكة بأشهر معدودة، قرب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فرأت أنه لا بد من كلمة يقولونها للعرب، في شأن محمد ﷺ،

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق١، ص٢٦٤.
(٢) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم (دار الفكر، بيروت: ١٩٩٩)، ص٧٢.
(٣) القلم: ٦.
(٤) ص، ٤
(٥) القلم، ٥١.
(٦) الأنعام، ٥٣.

صاحب الدعوة الجديدة، لكي يردوا عنه القبائل العربية، حتى لا تكون لدعوته أثر طيب في نفوس الناس.

أول ما بدأ به المشركون، من الخطوات لمواجهة الدعوة الإسلامية، القيام بحملات إعلامية لتشويه سمعة مبلغ الرسالة الإلهية، المتمثلة بشخص الرسول الكريم محمد ﷺ، بين القبائل العربية في مواسم الحج.

لقد ذكر ابن إسحاق رواية عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن الوليد بن المغيرة، اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم؛ فقال: "يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم، وأن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأياً نقوم به، فقال: بل أنتم قولوا أسمع، فقالوا: نقول: كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه، فقالوا: نقول: مجنون، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته، فقالوا: نقول: شاعر، فقال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولاعقده، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله ان لقوله لحلاوة، إن أصله لغدق، وإن فرعه لجنٌ فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً، إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه وإياه، وذكروا لهم أمره"[(١)].

يتبين من هذا النص تحير قريش في أمر الرسول ﷺ، الذي كانت دعوته تنتشر بين الناس بسرعة كبيرة، وكذلك عدم اتفاقهم حول ما يصفون به الرسول ﷺ، بأنهم كانوا غير مقتنعين بما يتهمون به الرسول ﷺ من اتهامات، إلا انهم لم تكن لديهم من الأساليب، ما يستطيعون بها مواجهة الإسلام؛ فلجأوا إلى هذه الاتهامات الرخيصة.

يبدو أن مواجهة المشركين للإسلام بدأ منذ هذا الموسم، في السنة الرابعة من البعثة النبوية الشريفة على الأرجح، العام الأول من الدعوة العلنية، الذي وحد فيه المشركون جهودهم لصرف الناس عن الاستماع إلى الرسول ﷺ.

---

(١) ابن إسحاق، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار (ط١، دار الفكر، بيروت: ١٩٧٨)، ص١٥٠ -١٥١؛ ابن هشام، السيرة، ق١، ص٢٧٠ -٢٧١.

فعندما حضر موسم الحج في هذه السنة، خرج مشركو قريش إلى الموسم يتصدون للناس، ويخبرونهم عن أمر رسول الله ﷺ، الذي اتفقوا عليه في مجلسهم، على القول بأنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته.

إلا أن محاولات المشركين هذه في تحذير الناس عن الاستماع إلى الرسول ﷺ، قد أدت إلى نتائج عكسية، فانتشر خبر الرسول ﷺ ودعوته بين الناس بشكل أكبر، وأصبحوا أكثر تشوقاً للاستماع إلى الرسول ﷺ، وكانت من نتائج ذلك أن صدرت العرب، من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها[1].

فهذه قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، الذي كان إسلامه، من النتائج العكسية لتحذيرات مشركي قريش، من الاستماع إلى رسول الله ﷺ، وتشويههم للإسلام في موسم الحج، فقد تحدث الطفيل عن سبب إسلامه فيما ذكره ابن إسحاق: أنه لما قدم مكة، مشى إليه رجال من قريش، فقالوا: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه شيئاً.

قال طفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت في أُذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[2] فَرقاً من أن يبلغني شيءٌ من قوله، وأنا لا أُريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي عند الكعبة، قال: فقُمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله، قال: فسمعتُ كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثُكْل أمي، والله إني لرجل لَبيب شاعرٌ ما يخفى عَلَيَّ الحَسَن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فان كان الذي يأتي به حسناً قَبلْتهُ، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعتُه، حتى إذا دخل بيته دَخلتُ عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكُرْسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعتُه قولاً حسناً، فاعرض عَليَ أمرك. قال: فعرض عَلَيَ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عَليَ القرآن، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُ أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق[3]. هكذا أسلم طفيل وحمل الإسلام إلى قومه (بني دوس) .

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٧٢.

(٢) الكُرْسُف: القطن.

(٣) ابن هشام، السيرة، ق١، ص٣٨٢ -٣٨٥.

وكان أبو لهب، يجول خلف النبي ﷺ، في مواسم الحج والأسواق التي تقام فيها لتكذيبه، وقد روى طارق بن عبد الله المحاربى، أنه رأى النبي ﷺ في سوق ذي المجاز، وأبو لهب يتبعه ويرميه بالحجارة[١]، و سوق ذي المجاز، يعد واحداً من الأسواق التي كانت تقام قبيل مواسم الحج، فإذا رأى الناس هلال شهر ذي الحجة، فإنهم كانوا ينصرفون من سوق مجنة إلى ذي المجاز، فيقيمون بها ثماني ليال ، وبعد انقضائها كانوا يخرجون يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، من ذي المجاز إلى عرفة[٢]. للبدء بمناسك الحج، وسوق ذي المجاز من أبرز أسواق مواسم الحج، قبل الإسلام وفي العهد المكي من عصر الرسالة.

لقد كان ابو لهب بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ أشد عليه من الأباعد، فكان يرمي القذارة على بابه، لأنه كان جاراً له، فكان الرسول ﷺ يلقيه ويقول: "يا بني عبد مناف! أي جوارٍهذا؟"[٣]. وكانت تشاركه في قبيح عمله، زوجه أُم جميل بنت حرب بن أُمية، فكانت كثيراً ما تسبُ رسول الله ﷺ، وتتكلم فيه بالنمائم، وخصوصاً بعد أن نزل فيها وفي زوجها سورة المسد[٤]. والذي سيتم التفصيل فيه، إن شاء الله في محله.

كان المشركون يتواصون بينهم، بافتعال ضجة عالية، وصياح منكر عندما يقرأ القرآن، حتى لا يُسمع فيفهم فيترك أثراً في عقل نقي، وقلب طيب[٥]، وفي ذلك قال المولى تبارك وتعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)[٦] .

وكانوا يسبون القرآن ومنزله ومن جاء به، إذ كان رسول الله ﷺ مختفياً بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به[٧]، فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ)، أي بقراءتك فيسمع

---

(١) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن احمد التميمي البستي، الثقات، تحقيق: السيجد شرف الدين أحمد (ط١، دار الفكر، د/م: ١٩٧٥)، ج٣، ص٢٠٢.

(٢) الأزرقي، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي صالح ملحس (دار الأندلس، مطابع ماثيو كرومو، مدريد: د/ت)، ج١، ص١٨٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٠١؛ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل وملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط٥، دار المعارف، القاهرة: ١٩٨٦)، ج١، ص٥٥٣؛ ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون (ط٤، دار المعرفة، بيروت: ١٩٩٨)، مج٢، ص١٤٦.

(٤) الخضري بك، محمد، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق: عادل خضر (ط١، مؤسسة المعارف، بيروت: ٢٠٠٥)، ص٣٠.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٣٥٣.

(٦) فصلت: ٢٦.

(٧) الطبري، جامع البيان، ج١٥، ص١٨٦؛ وذكر ابن هشام أن سبب نزول هذه الآية المباركة، أن أبو جهل قال يوماً وهو: " يهزأ برسول الله ﷺ، وما جاء من الحق، يا معشر قريش، يزعم محمد أنما جنود الله، الذين يعذبونكم في النار يحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة، أفيعجز كل مائة رجل

المشركون فيسبوا القرآن، (وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١).

ثانياً- الترهيب:

بقي المشركون يركزون على شخص رسول الله ﷺ، من أجل القضاء عليه وعلى دعوته، فقد ذكرت المصادر أن وفداً من قريش، ضم ما يقارب عشرة أشخاص(٢) من زعمائها مشوا إلى أبي طالب، ليطلبوا منه أن يكف ابن أخيه عن سب آلهتهم، وعيب دينهم، وتسفيه أحلامهم، وتضليل آبائهم، أو أن يخلي بينهم وبين الرسول ﷺ، وقد استطاع أبو طالب أن يردهم هذه المرة رداً جميلاً(٣).

إلا أن استمرار رسول الله ﷺ بدعوته إلى عبادة الله الواحد الأحد، ونبذ عبادة الأصنام التي كان يعبدها قومه، مما جعل الوفد هذا يرجع ثانية إلى أبي طالب، وفي هذه المرة استغلظوا مع أبي طالب في الكلام، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، فطلب من الرسول ﷺ أن يكف عن دعوته، وأن لا يحمله ما لا يطيق من الأمر، فقال رسول الله ﷺ : "يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته"(٤). يبدو أن الرسول ﷺ قال هذا الكلام، ظناً منه أن عمه

منكم عن رجل منهم؛ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا)، الى آخر القصة. فلما قال ذلك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن، وهو يصلي يتفرقون عنه، ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ، بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوته، فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته، وسمع هو شيئا دونهم، أصاخ له يستمع منه قال ابن اسحاق: حدثني داود بن الحصين مولى عمر بن عثمان، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)، حدثهم إنما أنزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك وتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)، من اجل أولئك النفر، يقول: لا تجهر بصلاتك؛ فيتفرقوا عنك، ولا تخافت بها؛ فلا يسمعها من يحب أن يسمعها، ممن يسترق ذلك دونهم، لعله يرعوي الى بعض ما يسمع فينتفع به". (ابن هشام، السيرة، ق١، ص٣١٣ــ٣١٤).

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) ضم الوفد: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو البختري العاص بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وأبو جهل عمرو بن هشان، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر، والعاص بن وائل. (ابن هشام، السيرة، ق١، ص٢٦٤ -٢٦٥).

(٣) ابن هشام، السيرة، ق١، ٢٦٥.

(٤) نفسه، ق١، ص٢٦٦.

خاذله ومسلمه، إلا أن أبا طالب، لما سمع قول ابن أخيه، قال: "اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً"(١).

لما رأى زعماء قريش، صلابة موقف أبي طالب، مشوا إليه في المرة الثالثة لإقناعه بمساومة ما، فذهبوا بعمارة بن الوليد بن المغيرة، ليستبدلوه بالرسول ﷺ، فيأخذ أبو طالب عمارة ويتخذه ولداً، ويذهبوا هم برسول الله ﷺ ليقتلوه، قالوا: "فإنما هو رجل برجل"(٢).

كان رد أبي طالب، على مساومة المشركين هذه قوياً، فقال: "والله لبئس ما تساومونني: أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه: هذا والله لا يكون أبداً"(٣). لذا لما كانت كل نتائج هذه المساومات الفشل، لجأ المشركون إلى أسلوب آخر لتحقيق أهدافهم.

ثالثاً- الترغيب:

لما رأى المشركون أن إتباع أسلوب الشدة في المساومة مع أبي طالب، لم يُجدِ نفعاً، اتبعوا أسلوباً آخر أقل صلابة، ألا وهو محاولة ترغيب الرسول ﷺ بالمال والجاه والسلطان، مقابل أن يكف عن دعوته.

ذهب الوفد الذي ساوم أبي طالب نفسه ، مع انضمام شخصيات أخرى إليه، فأرسلوا إلى الرسول ﷺ ليكلموه في أمره، فقالوا له: "يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب، أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح، إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، فان كنت إنما جئت بهذا الحديث، تطلب به مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ــ وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً ــ فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك، حتى نبرئك منه، أو نُعذر فيك"(٤). إلا أن الرسول ﷺ كان ثابتاً على مبادئه التي أنزلها الله تعالى عليه، فلم يحيد عنها قيد أنملة، رغم المُغرَيات الدنيوية التي عرضت عليه، فقال لهم: "ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم،

---

(١) نفسه، ق١، ص٢٦٧.

(٢) نفسه، ق١، ص٢٦٧.

(٣) نفسه، ق١، ص٢٦٧.

(٤) ابن إسحاق، السيرة، ص١٩٧ -١٩٨؛ ابن هشام، السيرة، ق١، ص٢٩٥ -٢٩٦.

فان تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وان تردوه عليَ أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم"[١].

وقد أشار ابن إسحاق، في كتابه السير والمغازي إلى قيام عتبة بن ربيعة بجهدٍ فردي، كسابقة لجهود هذا الوفد المذكور أنفاً ، فعرض على رسول الله ﷺ الأمور ذاتها التي عرضها هذا الوفد، إذ ربما كان إرسال عتبة من قبل رجال هذا الوفد، كان لتمهيد الطريق لوصولهم، ومفاوضة الرسول ﷺ، على أرضية مسبقة، إلا أن ظنهم خاب وخابوا، فرد عليهم رسول الله ﷺ بالقول الفصل الذي لا رجعة عنه، مهما كانت العواقب وخيمة، وأوكل أمره إلى الله تعالى، الذي أرسله يحكم في أمره بما يريد.

رابعاً- التعجيز:

كان الرسول ﷺ قد رفض كل العروض الدنيوية، من (مال، وجاه، ومُلك)، التي عرضها عليه زعماء قريش المشركين، لذا فلما شعر رجال هذا الوفد بفشل جهودهم، طلبوا منه ﷺ الإتيان ببعض المعجزات، فقالوا: "يا محمد، فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فانك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً، ولا أقل ماءً، ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك به"، فطلبوا من الرسول ﷺ عدة معجزات ذكرها ابن إسحاق[٢]، وهي:

١. طلبوا من الرسول ﷺ أن يسير لهم الجبال، ويوسع ضيق بلادهم عليهم، ويجري فيها الأنهار.
٢. طلبوا منه ﷺ أن يطلب من ربه، بأن يبعث لهم ما مضى من آبائهم، وأن يكون قصي بن كلاب من ضمن من يبعث كي يصدقوه.
٣. وأن يبعث ربه معه ملكاً يصدقه بما يقول.
٤. وأن يسأل ربه، بأن يجعل له جناناً وكنوزاً وقصوراً، من ذهب وفضة، بدلاً من قيامه بأسباب الرزق والتماس المعاش، والمشي في الأسواق.
٥. أن يسقط السماء عليهم كسفاً.
٦. قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً.
٧. قال عبد الله بن أبي أمية ابن عمة الرسول ﷺ، ابن عاتكة بنت عبد المطلب، الذي قام مع النبي ﷺ بعد انتهاء المجلس يعاتب الرسول ﷺ في عدم تلبيته مطالب قومه: "فوالله لا

(١) ابن هشام، نفسه، ق١، ص٢٩٦.
(٢) ابن إسحاق، السيرة، ص١٩٨ -١٩.

أومن بك أبداً، حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك منشور، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول"[1].

فكانوا كلما طلبوا منه ﷺ أن يأتي لهم بمعجزة أجابهم: "ما بهذا بعثت، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به، فإن تقبلوا مني، فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَ، أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم"[2].

وقد نزلت آيات من القرآن الكريم، تصور طبيعة المعجزات، التي طالب بها زعماء قريش، من النبي ﷺ، كشرط مسبق للإيمان به (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا ۞ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا)[3].

فبعد أن أصر زعماء المشركين على هذه الطلبات، فإن الرسول ﷺ قام من عندهم حزيناً لما فاتهم من فرصة الإيمان بدعوته، وقد كان طلب زعماء المشركين الإتيان بهذه المعجزات، مجرد حُجة لكي يبرروا موقفهم في عدم الإيمان به، وحتى لو جاءهم الرسول ﷺ بتلك المعجزات، لم يكونوا ليؤمنوا بها، وقد اشار القرطبي، إلى ما يفيد بوجود مثل هذا التوجه بالقول: فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ــ كما أُشير سابقاً ــ فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ماعرضوا، فلم تقبله منهم؛ ثم سألوك لأنفسهم أموراً، ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل؛ ثم سألوك أن تأخذ لنفسك، مايعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تجعل لهم بعض ماتخوفهم به من العذاب فلم تفعل، أو كما قال له: فو الله لا أومن بك أبداً، حتى تتخذ إلى السماء سلماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة، يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك ماظننت أني أصدقك!!؛ ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً آسفاً، لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه[4].

---

(١) نفسه، ص١٩٩.

(٢) نفسه، ص١٩٨.

(٣) سورة الإسراء: ٩٠-٩٤.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٣٢٩-٣٣٠.

لذا فإن قريشاً صعدت تدريجياً أسلوبها، في تضييق الخناق على الرسول ﷺ والمسلمين؛ فلجأت بعد فشل كل جهودها السابقة إلى التهديد.

خامساً- التهديد:

بعد أن قام رسول الله ﷺ من عند زعماء قريش، الذين عرضوا عليه المال والسيادة والمُلْك فرفض، ثم طلبوا منه أن يأتي بمعجزات كي يصدقوه، إلا أن الجلسة انتهت دون التوصل إلى نتائج. قال ابن إسحاق: "فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: يا معشر قريش ان محمداً قد أبى، إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله، لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله لا نُسلمك لشيء أبداً، فامض لما تريد"(١).

قال ابن إسحاق: "فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود، جعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ﷺ يصلي، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم، ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ، احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه، رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً، قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فَحْلٌ من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قَصَرته، ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني". قال ابن إسحاق: "فذكر لي أن رسول الله ﷺ، قال: ذلك جبريل (عليه السلام)، لو دنا لأخذه"(٢).

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال أبو جهل: "لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عياناً"(٣).

---

(١) ابن إسحاق، السيرة، ص١٩٩ -٢٠٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق١، ص٢٩٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل ابو عبد الله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا (ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت: ١٩٨٧)، ج٤، ص١٨٩٦.

روى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس أيضاً قال: "مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي، فقال: ألم انهك أن تصلي يا محمد؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني، فانتهره النبي ﷺ، فقال جبريل: فليدع ناديه، سندع الزبانية، والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب"(١).

كل هذه الاعتداءات والتهديدات للرسول ﷺ، كانت تجري في ظل الحرم المكي، والتي هي انتهاك لحرمة مكة من قبل زعمائها، الذين انساقوا وراء مصالحهم، فلذلك لم يبالوا بهذه الانتهاكات لحرمة هذا الحرم، الذي تفانوا هم من أجل حمل العرب على احترامه، لما يوفر ذلك لهم من مكاسب مادية ومعنوية، ولم يقتصر الأمر على هذه التهديدات فحسب، بل تطور الأمر إلى التعذيب الذي مورس ضد المسلمين، وحتى أخذ حظه من شخص الرسول ﷺ على الرغم من أنه كان ممتنعاً بعشيرته.

سادساً- التعذيب:

لم تكتفِ قريشٌ بالتهديد، وقبل ذلك الحملات الإعلامية لتشويه صورة النبي ﷺ والإسلام، والمساومة والطلبات التعجيزية، فسرعان ما شرعت تعذب المسلمين داخل الحرم المكي، حيث قال ابن إسحاق: "ثم ان قريشاً تآمروا بينهم، على من في القبائل منهم، من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب"(٢).

حتى رسول الله ﷺ الذي كان ممتنعاً بعمهِ أبي طالب لم ينجُ من التعذيب، فقد ذكر البخاري في التفسير عن عروة بن الزبير (رضي الله عنهما) قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: "أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم"(٣).

ذكر مسلم في صحيحه عن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: "بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نُحرت جزور(٤) بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم

(١) احمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد (مؤسسة قرطبة، مصر، د/ت)، ج١، ص٢٥٦.
(٢) ابن إسحاق، السيرة، ص١٤٨؛ ابن هشام، السيرة، ق١، ص٢٦٨ -٢٦٩.
(٣) صحيح البخاري، ج٤، ص١٨١٤.
(٤) جزور: ناقة.

يقوم إلى سلا[١] جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه؛ فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه.."[٢].

بعد أن توفي أبو طالب، حامي النبي ﷺ من اعتداءات المشركين، وكذلك توفيت السيدة خديجة زوج الرسول ﷺ في العام نفسه وبمدة زمنية متقاربة، حتى أن رسول الله ﷺ من شدة الحزن سمى ذلك العام (بعام الحزن)[٣] ، فإن قريشاً ضيقت على رسول الله ﷺ، وآذته وأصحابه إلى درجة اضطرته إلى أن يفكر في اختيار مكان آخر، يذهب إليه لدعوة الناس إلى الإسلام، عسى الله ولعله أن يهديهم اليه، فوقع اختياره على مدينة الطائف[٤].

وما إن دخل رسول الله ﷺ مدينة الطائف، التي كان يطمح كثيراً في استجابة أهلها لدعوته، حتى عمد إلى محادثة ثلاثة أخوة، وهم (عبد يا ليل) وأخويه، وكانوا من سادة ثقيف وأشرافها، وقد ذكر ابن سعد[٥] أن رسول الله ﷺ مكث في الطائف عشرة أيام، بحيث لم يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه غير أنهم ردوا عليه أسوأ رد، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وهما فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي النبي ﷺ من سفهاء أهل الطائف.

وقد أشار ابن إسحاق، إلى ما عاناه رسول الله ﷺ، من أهل الطائف بقوله: " ولما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ، من الأذى ما لم تكن تنال منه، في حياة عمه أبي طالب؛ فخرج رسول الله ﷺ ا لى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج اليهم وحده[٦] ... لما انتهى

---

(١) سلا: القافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة.

(٢) مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت: د/ت)، ج٣، ص١٤١٨.

(٣) البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة (ط٤، دار الفكر، د/م: ١٩٧٢)، ص١٣٠؛ الصلابي، علي محمد محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ط٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة: ٢٠٠٣)، ج١، ص٢٥٣.

(٤) لقد وقع اختيار النبي ﷺ على مدينة الطائف لعدة أسباب أهمها: لقربها من مكة، فقد كانت تقع على مسافة ستين ميلاً من مكة، ولوجود حلفاء مكة فيها، فضلاً عن الروابط الوثيقة التي كانت تربط مكة بأهل الطائف من النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية فضلاً عن أن الطائف كانت تمثل العمق الاستراتيجي لملأ قريش (الملاح، الوسيط في السيرة، ص١٦٦؛ وينظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج١، ص٢٥٥ــ٢٥٦).

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٢.

(٦) الراجح أن الرسول ﷺ عندما خرج إلى الطائف لم يكن وحده، إذ رافقه في رحلته تلك زيد بن حارثة، وقد أكد ابن سعد أن رسول ﷺ الله "خرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة". (الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١١). إن ما ذكره ابن سعد هو أقرب للصواب، وذلك بالنظر إلى ظروف السفر الصعبة في ذلك الوقت، حيث كان الأمر يتطلب أن لا ينفرد الرسول ﷺ وحده بالسفر.

رسول الله ﷺ الى الطائف، عمد الى نفر من ثقيف، هم يؤمئذ ساده ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، ولما وصل إليهم رسول الله ﷺ؛ دعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له، من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؛ فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة، إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك. وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك؛ فقام رسول الله ﷺ من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم فيما ذكر لي: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه؛ فيذئرهم[١] ذلك عليه... وأغروا به سفهاءهم، وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط، لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه سفهاء ثقيف، من كان يتبعه؛ فعمد إلى ظل حَبَلة من عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف"[٢].

ولشدة ما تعرض له الرسول ﷺ من الأذى، فقد توجه إلى ربه بالشكوى، فقال: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، الى بعيد يتجهمني، أم الى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب؛ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك، الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"[٣].

كل هذا ناهيك عن ما تعرض له الرسول ﷺ من السب والشتم في ظل الحرم المكي والأشهر الحرم إذ "كانت قريش تسمي رسول الله ﷺ مذمماً؛ ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش، يسبونِ ويهجونِ مذمماً، وأنا محمد"[٤]. كل هذا كان يجري في مكة، في الوقت الذي كانت هناك وظيفة تُسمى العمارة، كان صاحبها ينهى الناس الذين يحجون إلى مكة عن التكلم بكلام بذيء . حتى أن شدة ما تعرض له الرسول ﷺ من الإيذاء والشتم من قبل أبي جهل، كان سبباً في إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه [٥].

---

(١) يُذئرهم عليه: يثيرهم عليه ويجرئهم.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق١، ص٤١٩ -٤٢٠.

(٣) نفسه، ق١، ص٤٢٠.

(٤) نفسه، ق١، ص٣٥٦.

(٥) ينظر: في سبب إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه سيرة ابن هشام، ق١، ص٢٩١ -٢٩٢.

وكانت امرأة أبي لهب ــ أم جميل أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان ــ لا تقل عن زوجها في عداوة النبي ﷺ، فقد كانت تحمل الشوك، وتضعه في طريق النبي ﷺ، وعلى بابه ليلًا، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربًا شعواء على النبي ﷺ؛ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب(١).

لذا فإنها كما جاء في المصادر "لما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فِهْرٌ [أي بمقدار ملء الكف] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة. ثم قالت: مُذَمَّما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قَلَيْنا ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله ، أما تراها رأتك؟ فقال: "ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني"(٢).

أما المستضعفون من المسلمين، فقد تفنن المشركون في تعذيبهم، فأذاقوهم ألوان العذاب، إذ: "أنهم عدوا على من أسلم، واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم، ويعصمه الله منهم"(٣).

لقد تعرض صحابة رسول الله ﷺ، إلى شتى صنوف الأذى والتعذيب على يد المشركين، وسيتم فيما يأتي الإكتفاء بثلاثة نماذج، مما تعرض له الصحابة من الأذى والتعذيب:

- ابو بكر الصديق ﷺ: تعرض للأذى والضرب الشديدين على يد المشركين، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: يا أبا بكر إنا قليل، فلم يزل أبو بكر يلح، حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر، وعلى المسلمين؛ فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر، وضُرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا

(١) المباركفوري، الرحيق، ص٧٥.
(٢) ابن هشام، السيرة، ق١، ص٣٥٥ -٣٥٦.
(٣) نفسه، ق١، ٣١٧.

على بطن أبي بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون، فأجلوا المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب، حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته؛ ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد، وقالوا: والله لئن مات أبو بكر، لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر، حتى أجاب فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله ﷺ، فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه؛ ثم قاموا وقالوا لأُمه أم الخير: أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول ما فعل رسول الله ﷺ، فقالت: والله مالي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب، فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسألُكِ عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كُنتِ تُحبين أن أذهب معك إلى ابنك، قالت: نعم؛ فمضت معها حتى وجدت أبا بكر، صريعاً دَنفاً، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك، لأهلُ فُسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ، قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو، قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله عليَ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ، فامهلتا حتى إذا هدأت الرِجل، وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله، قال فأكب عليه رسول الله ﷺ؛ فقبله وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك، فادعها إلى الله، وادع الله لها، عسى الله أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ، ودعاها إلى الله فاسلمت"[1].

- بلال بن رباح ﷺ: لم يكن لبلال ﷺ ظهر يسنده، ولا عشيرة تحميه، ولا سيوف تذود عنه، هذا الإنسان الذي لم يكن في المجتمع الجاهلي، إلا مجرد رقم من الأرقام، فليس له دور في الحياة إلا أن يخدم ويطيع، ويباع ويشترى في الأسواق، أما أن يكون صاحب قضية وفكر ودعوة، فهذه جريمة شنعاء بالنسبة للمجتمع الجاهلي، ولكن بعد أن لامست الدعوة الإسلامية قلب هذا العبد المرمي المنسي، فأخرجته إنساناً جديداً، تفجرت معاني الإيمان في أعماقه، بعد أن آمن بهذا الدين[2]. لذا فإنه كان عرضة للتعذيب أكثر من غيره، إذ : "كان أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، يخرجه إذا حميت الظهيرة، في بطحاء مكة؛ ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مج٢، ص٣٤ -٣٥.

(٢) الصلابي، السيرة النبوية، ج١، ص١٨١.

ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد"[١]. ولما لم يكن لبلال أحد يدافع عنه، فإنه أوكل أمره إلى الله تعالى وحده، و "هانت عليه نفسه في الله، حتى ملوه، فجعلوا في عنقه حبلاً؛ ثم أمروا صبيانهم فيشتدوا به، بين أخشبي مكة[٢]، وجعل يقول: أحد أحد"[٣].

- خباب بن الأرت ﷺ: فما أن أظهر إسلامه، حتى لاقى صنوفاً شتى من العذاب والتنكيل من قبل المشركين، وقد أشار ابن حجر إلى أنه أول من أظهر إسلامه، وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك[٤]. كان المشركون قد أوقدوا لخباب ناراً، ووضعوه عليها، فما أطفأها إلا ودك ظهره[٥]، وقد اكتوى في بطنه سبع كيات[٦]، وبسبب ذلك فقد كان به برص[٧].

وعلى الرغم من شدة ما كان المشركون يعذبون خباباً، إذ كانوا يضجعونه على الرضف، فأنه لم يعطهم شيئاً مما كانوا يطلبونه من الكفر[٨]، ومن أنواع العذاب الذي تعرض له خباب، ان المشركين كانوا يخرجونه، في حر الرمضاء، ويسحبونه على وجهه، فيقي وجهه بكفه، وقد نُقل عن خباب ﷺ، أنه قال: "ما أعلم أحداً لقي من البلاء ما لقيت"[٩] . لذا فإنه شكا إلى رسول الله ﷺ، بأن يدعو الله تعالى، ويطلب منه النصر للمسلمين[١٠].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق١، ص٣١٧ -٣١٨.

(٢) جبلي مكة.

(٣) ابن أبي شيبة، أبو بكرعبد الله بن محمد الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت (ط١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٠٩هـ)، ج٧، ص١٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٣٣؛ مسند احمد، ج١، ص٤٠٤؛ ابن ماجة، أبو عمر بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (دار الفكر، بيروت: د/ت)، ج١، ص٥٣.

(٤) ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي الكناني العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة (ط١، دار الجيل، بيروت: ١٩٩٢)، ج٢، ص٢٥٨.

(٥) الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد (ط١، دار الفرقان، عمان: ١٤٠٤هـ)، ص١٤٤؛ الدمشقي، عبد الحي بن احمد العكري (دار الكتب العلمية، بيروت: د/ت)، ج١، ص٤٧.

(٦) الذهبي، نفسه، ص١٤٤ -١٤٦؛ ابن زبر الربعي، محمد بن عبد الله بن احمد أبو سليمان، وصايا العلماء عند حضور الموت، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، وصلاح محمد الخيمي (ط١، دار ابن كثير، بيروت: ١٤٠٦هـ)، ص٥٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٦٥؛ المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: د/ت)، ج٥، ص١٠١.

(٨) الذهبي، المعين، ص١٤٤.

(٩) نفسه، ص١٤٤.

(١٠) لقد ورد في الحديث الصحيح الذي ذكره البخاري، عن خباب بن الأرت ﷺ أنه قال: "أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة؛ فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله،

لقد ذكر ابن اسحاق رواية موصولة إلى سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: "أكان المشركون يبلغون من اصحاب رسول الله ﷺ، من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم، قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه، حتى ما يقدر أن يستوي جالساً، من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: آلات والعزى إلهك من دون الله؛ فيقول: نعم، حتى إن الجُعَل[1] ليمر بهم، فيقولون له: اهذا الجُعَل إلهك من دون الله؛ فيقول: نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده"[2].

لذا فإن رسول الله ﷺ لما رأى أصحابه، وما يصيبهم من البلاء والشدة وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم، وأنه ليس في قومهم من يمنعهم، كما منعه عمه أبو طالب، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة[3].

اضطر المسلمون تحت ظروف الاضطهاد والتعذيب هذه، إلى الفرار من مكة، التي كان يأوي إليها الخائف فيجد فيها الأمان، فقد كانت هذه الهجرة إلى الحبشة كما روى الواقدي في رجب سنة خمس من البعثة النبوية[4].

سابعاً- المقاطعة:

لقد جاءت مقاطعة قريش لبني هاشم، بعد استنفاذ كل الخطط والجهود التي بذلتها، والتي فشلت فيها بإقناع أبي طالب، بالتخلي عن الرسول ﷺ لقتله، ويبدو أن مقاطعة قريش لبني هاشم لم تبدأ بعد دخول رسول الله ﷺ لشعب أبي طالب مباشرة، وإنما استمرت العلاقات

فقعد وهو محمر وجهه؛ فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه؛ فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله" وزاد بنان "والذئب على غنمه". (صحيح البخاري، ج٣، ص١٣٩٨)؛ وقال ابن كثير وفي رواية: "ولكنكم قوم تستعجلون"، ثم أشار إلى أن البخاري انفرد به دون مسلم. (ابن كثير، البداية والنهاية، مج٢، ص٦٦).

(١) الجُعَل: بضم الجيم وفتح العين دويبة تكاد تشبه الخنفساء تدحرج الروث. (المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن محمد، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٧هـ)، ج٣، ص٢١٤؛ والجُعَل: جمعه جعلان بكسر الجيم فتكون ساكنة، وهو يجمع الجعر اليابس ويدخره في بيته، وهو دويبة معروفة تعض البهائم في فروجها، فتهرب في بطنه لون حمرة، يوجد كثيراً في مراح البقر والجواميس ومواضع الروث، ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها، ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب، فإذا أعيد إلى الروث عاش، ومن عادته أن يحرس النيام فمن قام لقضاء حاجته تبعه، وذلك من شهوته للغائط لأنه قوته. (العظيم آبادي، محمد شمس الحق أبو الطيب، عون المعبود (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ)، ج١٤، ص١٦). وهي سوداء اللون.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق١، ٣٢٠.

(٣) ابن إسحاق، السيرة، ص١٧٤؛ ابن هشام، نفسه، ق١، ص٣٢١.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٢، ص٧٣.

بين الطرفين على وضعها السابق، إلى أن عاد عمرو بن العاص من الحبشة، وأخبر قريشاً بان المسلمين قد وجدوا لهم موطناً آمناً في الحبشة، وان مهمته قد فشلت في استعادتهم[١]. عند ذلك "كبر الأمر عليهم، وغضبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه، وأجمعوا على قتل رسول الله ﷺ وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم.. وصاروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين تنبُئ رسول الله ﷺ"[٢].

وكتبت قريش صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة، (ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق، فلم يَدَعوا أحداً من الناس يُدخِل عليهم شيئاً من الطعام)[٣].

بعد كتابة صحيفة المقاطعة، انحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب فقد وقف إلى جانب قريش، فأقاموا على ذلك ثلاث سنين، حتى جهدوا، ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خُفْيَة، حتى كانت قريش تؤذي من اطلعت على أنه أرسل إلى بعض أقاربه، من المحصورين شيئاً من الأعطيات، وبلغ الجوع بالمسلمين مبلغاً، حتى كانوا يأكلون الخبط، وورق السمر، بل إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، حيث قال سعد بن أبي وقاص: (لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ، بمكة فخرجت من الليل أبول، فإذا أنا أسمع قعقعة شيء تحت بولي فنظرت فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها، فرضضتها بين حجرين، ثم استففتها، فشربت عليها الماء، فقويت عليها ثلاثاً)[٤].

في مواسم الحج كان المحاصرون في الشِعب يخرجون إلى الموسم، لاستغلال فرصة الأمان، التي كان يفترض أن تكون سائدةً، في ظل الحرم المكي والأشهر الحُرم، في مكة على الأقل، إلا أن قريشاً كانت تسبقهم إلى الأسواق فيشترون السلع، ويغلون أسعارها عليهم، وكان ينادي منادي الوليد بن المغيرة في هذه المواسم في قريش: "فمن رأيتموه عند طعام يشتريه، فزيدوا عليه، وحولوا بينهم وبينه، ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلي النقد، ففعلوا ذلك ثلاث

---

(١) عروة بن الزبير، مغازي رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي (ط١، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، السعودية: ١٩٨١)، ص١١٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٠٨.

(٢) ابن سعد، نفسه ج١، ص٢٠٩.

(٣) ابن إسحاق، السيرة، ص١٥٩.

(٤) الأصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ)، ج١، ص٩٣؛ الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز ابو عبد الله، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي (ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٣هـ)، ج١، ص١٤٨.

سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشِعب"[١].

ثامناً- الاغتيال:

لقد ازداد غضب قريش على المسلمين، حين فشل وفدهم في إرجاع المهاجرين إلى الحبشة، مما شكل خطراً كبيراً، لم يشهد له مثيل من قبل، في تدهور العلاقة بين مكة والحبشة.

فقد ذكر عروة بن الزبير، في مغازيه عن هذه المدة الزمنية بقوله: "لما أقبل عمرو بن العاص من الحبشة من عند النجاشي إلى مكة، قد أهلك الله صاحبه ومنعه حاجته، اشتد المشركون على المسلمين كأشد ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وعمد المشركون من قريش؛ فأجمعوا مكرهم وأمرهم، على أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية"[٢].

فكرت قريش في اغتيال الرسول ﷺ بجدية، خاصة بعد أن رأوا إصرار أبي طالب وبني هاشم، مسلمهم ومشركهم بالدفاع عن محمد ﷺ، واجتماعهم في الشعب، فقد كان ابو طالب يخشى من قريش أن يقتلوا رسول الله ﷺ غيلة ولذلك: "كان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فأتى فراشه حتى يراه من أراد به مكراً أو غائلة، فإذا نام الناس أخذ أحد بنيه أو أخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها"[٣].

ذكرت المصادر عدة محاولات، قام بها رجال من قريش لقتل الرسول ﷺ، وكان من أبرزها محاولة أبي جهل[٤]، ومحاولة عمر بن الخطاب ﷺ انتقاماً لأبي جهل[٥]، حينما ضربه حمزة ﷺ عم النبي ﷺ ضربة فشج بها رأسه، وذلك قبيل إسلامه عندما حمل سيفه لقتل رسول الله ﷺ والتي كانت سبباً في إسلامه[٦].

وقد ورد في مسند أحمد بن حنبل، وصحيح ابن حبان، عن سعيد بن جبير ﷺ عن ابن عباس (رضي الله عنهما): "إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر؛ فتعاقدوا باللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى، ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمداً، لقد قمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة (رضي الله عنها)، تبكي حتى دخلت على

---

(١) نفسه، ص١٥٩.

(٢) عروة بن الزبير، المغازي، ص١١٤؛ وينظر: ابن إسحاق، السيرة، ص١٥٩.

(٣) عروة بن الزبير، نفسه، ص١١٤.

(٤) ابن هشام السيرة، ق١، ص٢٩٨.

(٥) واشنجتون أرفنج، حياة محمد، ترجمة: علي حسنى الخربوطلي (دار المعارف، مصر: ١٩٦٠)، ص٨٢.

(٦) ابن هشام، السيرة، ق١، ص٣٤٢-٣٤٨.

رسول الله ﷺ، فقالت: هؤلاء الملأ من قريش، قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل الا قد عرف نصيبه من دمك؛ فقال: يا بنية أريني وضوءٍ فتوضأ؛ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ، حتى قام على رؤوسهم؛ فأخذ قبضة من التراب؛ فقال: شاهت الوجوه، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة، الا قتل يوم بدر كافراً"(١).

وأخرج الحاكم روايةً، عن أنس بن مالك ﷺ قال: "لقد ضربوا رسول الله ﷺ، حتى غشي عليه؛ فقام أبو بكر (رضي الله عنه)، فجعل ينادي ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً، أن يقول: ربي الله، قالوا: من هذا قالوا هذا ابن أبي قحافة المجنون"(٢).

وذكر ابن أبي شيبة في مصنفه، عن عمرو بن العاص قوله: "ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ، إلا يوماً ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله ﷺ، يصلي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي معيط، فجعل رداءه في عنقه، ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ساقطاً، وتصايح الناس فظنوا أنه مقتول، فأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله ﷺ، من ورائه وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله، ثم انصرفوا عن النبي ﷺ، فقام رسول الله ﷺ فصلى، فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل الكعبة، فقال: يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده، ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، وأشار بيده إلى حلقه؛ فقال له أبو جهل: يا محمد ما كنت جهولاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم"(٣).

إلا أن أخطر تلك المحاولات، ما طرحه أبو جهل، عندما اجتمعوا في دار الندوة لينظروا ما يفعلونه بالرسول ﷺ، بعد عدة آراء رفضت قال أبو جهل بن هشام: "والله ان لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٠٣؛ ابن حبان، محمد بن احمد بن حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩٣)، ج١٤، ٤٣٠؛ وينظر: المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن احمد الحنبلي، الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش (ط١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة: ١٤١٠هـ)، ج١٠، ص٢١٩.

(٢) الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٠)، ج٣، ص٧٠، وقد الحاكم عن هذا الحديث: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف ابن أبي شيبة،ج٧، ص٣٣١؛ وينظر للمزيد من محاولات المشركين قتل الرسول ﷺ، وحفظ الله تعالى له من كل ذلك. (أبو نعيم الأصبهاني، احمد بن عبد الله بن أسحاق بن موسى بن مهران، دلائل النبوة (ط١، دار نوبلس، بيروت: ٢٠١٠)، ج٢، ١٦٧ -١٨٢.

العَقل، فعقلناه لهم.. فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له"[١]. فأوحى الله عز وجل إلى نبيه ما دُبِر له، فخرج رسول الله ﷺ من بين القوم وهم لا يرونه، ثم هاجر هو وصاحبه أبو بكر الصديق ﷺ إلى المدينة المنورة؛ ثم تلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ تباعاً، فلم يبقَ بمكة منهم أحد، إلا مفتون أو محبوس[٢]. وقد كان قدوم الرسول ﷺ المدينة، في السنة الثالثة عشر من البعثة النبوية، قال ابن إسحاق: "إذ قدمها شهر ربيع الأول"[٣].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا مدى قوة الدعم الإلهي للرسول محمد ﷺ وللمسلمين في مواجهة الكفار وفي فضح أساليبهم للقضاء على الدعوة وعلى رسولها ، فكان التمسك بمبادئ الإسلام والتقرب إلى الله تعالى هي الخطوط الرئيسة في حياة الرسول الكريم وصحابته الكرام، وكان النجاح في مسعاهم والانتصار على أعدائهم بمثابة المكافأة من الله تعالى لهم على صبرهم وتماسكهم وجهادهم في سبيله ، فعلينا أن نتخذ من سيرة الرسول محمد ﷺ وصحابته في مواجهة الكفار نبراساً نهتدي به في طريقنا .

(١) ابن هشام، السيرة ، ق١، ص٤٨٢.
(٢) نفسه، ق١، ص٤٩٩.
(٣) نفسه، ق١، ص٥٠٠.

الخاتـــمة:

فيما يأتي أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

١. بالغ زعماء المشركين في اعتداءاتهم على شخص الرسول ﷺ والمسلمين عموماً، ومما يدل على هذا كثرة عدد الآيات التي نزلت في هذا العهد، والتي كانت تحث الرسول ﷺ وأصحابه على الصبر، وتضرب لهم الأمثلة، من واقع الأنبياء والرسل السابقين، للأستئناس بها: مثل قوله تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا).

٢. لم تكن دعوة الرسول ﷺ وأصحابه إلى الصبر، على أذى المشركين، مردها عدم الإيمان باستخدام القوة، عند الضرورة للدفاع عن النفس، وإنما كان سببها مراعاة الظروف العملية، إذ لم يكن المسلمون يملكون من وسائل القوة، ما يمكنهم به أن يجابهوا عدوان المشركين.

٣. لقد تميزت مواقف زعماء المشركين بإزدواجية المعايير، فعندما رأوا أن دعوة الإسلام، تشكل خطراً على مصالحهم، فإنهم تآمروا عليها، حتى وصل بهم الأمر إلى اضطهاد المسلمين، وتعذيبهم في ظل الحرم المكي، الذي كانوا هم يدعون إلى حرية الرأي فيه.

٤. في بداية الدعوة العلنية، اقتصر رد قريش على الدعوة بالاستهزاء بالرسول ﷺ والسخرية منه، فكان إذا مر بهم أشاروا إليه بقولهم: إن غلام عبد المطلب ليكلم من السماء. وبقي الأمر كذلك بين الرسول ﷺ وقريش، لا يعبئون به وبدعوته، إلى أن سفه أحلامهم وعاب آلهتهم وضلل آبائهم حسب زعمهم.

٥. لقد تدرج المشركون في عداوتهم للرسول ﷺ والمسلمين، من السخرية والاستهزاء والتشويه والتكذيب إلى المساومة، والمطالب التعجيزية، إلى التهديد بالقتل والتعذيب والاضطهاد، والمقاطعة، إلى محاولات لاغتيال الرسول ﷺ.

٦. كان المشركون يتواصون بينهم، بافتعال ضجة عالية، وصياح منكر عندما يقرأ القرآن، حتى لا يُسمع فيفهم فيترك أثراً في عقل نقي، وقلب طيب حسب زعمهم.

٧. لقد كان طلب زعماء المشركين الإتيان بالمعجزات، مجرد حُجة لكي يبرروا موقفهم في عدم الإيمان به، وحتى لو جاءهم الرسول ﷺ بتلك المعجزات، لما آمنوا به.

٨. فكرت قريش باغتيال الرسول ﷺ بجدية، خاصة بعد أن رأوا إصرار أبي طالب وبني هاشم، مسلمهم ومشركهم بالدفاع عن محمد، واجتماعهم في الشعب.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.